من غضب الرشيد

جرى لعبد الله بن مالك الخزاعى مع الرشيد، حين غضب عليه، أن أمر أهله وحشمه وجميع قرابته أن يجتنبوا كلامه وخدمته ومعاطاته حتى أثر ذلك فى نفسه وبدنه، فتحاماه أقرب الناس منه من ولد وأهل، فلم يدن منه أحد، ولم يطف به.

فجاءه محمد بن إبراهيم الهاشمى، وهو كان أحد أدوائه، فى جوف الليل، فقال له: يا أبا العباس! إن لك عندى يدا لا أنساها، ومعروفا ما أكفره، وقد علمت ما تقدم به أمير المؤمنين فى أمرك، وهاأنذا بين يديك، ونصب عينيك! فمرنى بأمرك، فوالله لأجعلن نفسى وقاية نفسك، وأسوقها فى كل ما نكأها أو جرحها.

فقال له عبد الله خيرا، وأثنى عليه، وأخبره بعذره فى موجدة أمير المؤمنين عليه. فوعده محمد أن يكلم أمير المؤمنين، ويخبره باعتذاره. فلما أصبح محمد، وافاه رسول أمير المؤمنين، فركب. فلما دخل عليه، قال: من أتيت فى هذه الليلة؟ قال: عبدك، يا أمير المؤمنين، عبد الله بن مالك، وهو يحلف بطلاق نسائه، وعتق مماليكه، وصدقة ماله مع عشرين نذرا يهديها إلى بيت الله الحرام حافيا راجلا، والبراءة من ولاية أمير المؤمنين إن كان ما بلغ أمير المؤمنين سمعه الله من عبد الله بن مالك، أو اطلع عليه أو هم به، أو أضمره أو أظهره.

قال: فأطرق الرشيد مليا مفكرا، وجعل محمد يلحظه، ووجهه يسفر ويشرق حتى زال ما وجده. وكان قد حال لونه حين دخل عليه، ثم رفع رأسه فقال: أحسبه صادقا يا محمد، فمره بالرواح إلى الباب. قال: وأكون معه، يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم.

فانصرف محمد إلى عبد الله، فبشره بجميل أمره، وأمره بالركوب رواحاً، فدخلا جميعا، فلما بصر عبد الله بالرشيد، انحرف نحو القبلة، فخر ساجدا، ثم رفع رأسه، فاستدناه الرشيد، فدنا وعيناه تهملان. فأكب عليه، فقبل رجله وبساطه وموطىء قدميه، ثم طلب أن يأذن له فى الاعتذار. فقال: ما بك حاجة إلى أن تعتذر، إذ عرفت عذرك. قال: فكان عبد الله بعد، إذا دخل على الرشيد، رأى فيه بعض الإعراض والانقباض. فشكا ذلك إلى محمد بن إبراهيم، فقال محمد: يا أمير المؤمنين! إن عبد الله يشكو أثرا باقيا من تلك النبوة التى كانت من أمير المؤمنين، ويسأل الزيادة فى بسطه له. فقال الرشيد: يا محمد! إنا معشر الملوك، إذا غضبنا على أحد من بطانتنا، ثم رضينا عنه بعد ذلك، بقى لتلك الغضبة أثر لا يخرجه ليل ولا نهار.

كتاب (التاج فى أخلاق الملوك) للجاحظ

أعوذ بعدلك من جور مروان !

ذكر أنّ معاوية بن أبى سفيان جلس ذات يوم بمجلس كان له بدمشق على قارعة الطريق، وكان المجلس مفتّح الجوانب لدخول النسيم. فبينما هو على فراشه وأهل مملكته بين يديه، إذ نظر إلى رجل يمشى نحوه وهو يسرع فى مشيته راجلا حافيا، وكان ذلك اليوم شديد الحر، فتأمله معاوية ثم قال لجلسائه: لم يخلق الله ممن أحتاج إلى نفسه فى مثل هذا اليوم. ثم قال: يا غلام سر إليه واكشف عن حاله وقصته فوالله لئن كان فقيرا لأغنينه، ولئن كان شاكيا لأنصفنه، ولئن كان مظلوما لأنصرنه، ولئن كان غنيا لأفقرنه.

فخرج إليه الرسول متلقيا فسلم عليه فرد عليه السلام. ثم قال له: ممن الرجل؟ قال: سيدى أنا رجل أعرابى من بنى عذرة، أقبلت إلى أمير المؤمنين مشتكيا إليه بظلامة نزلت بى من بعض عماله. فقال له الرسول: أصبحت يا أعرابى؟ ثم سار به حتى وقف بين يديه فسلم عليه بالخلافة ثم أنشأ يقول:

معاوى يا ذا العلم والحلم والفضل ... ويا ذا الندى والجود والنابل الجزل
أتيتك لمّا ضاق فى الأرض مذهبى ... فيا غيث لا تقطع رجائى من العدل
وجد لى بإنصافٍ من الجائر الذى ... شوانى شيا كان أيسره قتلى
سبانى سعدى وانبرى لخصومتى ... وجار ولم يعدل، وأغصبنى أهلى
قصدت لأرجو نفعه فأثابنى ... بسجن وأنواع العذاب مع الكبل
وهم بقتلى غير أن منيّتى ... تأبت، ولم أستكمل الرزق من أجلى
أغثنى جزاك الله عنّى جنة ... فقد طار من وجد بسعدى لها عقلى

فلما فرغ من شعره قال له معاوية: يا اعرابى إنى أراك تشتكى عاملا من عمالنا ولم تسمه لنا! قال: أصلح الله أمير المؤمنين، وهو والله ابن عمك مروان بن الحكم[1] عامل المدينة. قال معاوية: وما قصّتك معه يا أعرابى.

قال: أصلح الله الأمير، كانت لى بنت عم خطبتها إلى أبيها فزوجنى منها. وكنت كلفا بها لما كانت فيه من كمال جمالها وعقلها والقرابة. فبقيت معها يا أمير المؤمنين، فى أصلح

(١) هو مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية، رابع الخلفاء الأمويين (٦٤ - ٦٥هـ/٦٨٤ - ٦٨٥م)، ولد بمكة العام الثانى للهجرة، يعده البعض من صغار الصحابة، وهو من رواة الحديث، صحب عمر بن الخطاب وكان كاتبا لعثمان فى خلافته وتولى إمارة المدينة وموسم الحج فى عهد معاوية واستمر كذلك فى أوائل عهد يزيد بن معاوية حتى أخرج من المدينة إلى دمشق بعد أن رفض أهل المدينة مبايعة يزيد، تولى الخلافة بعد معاوية بن يزيد عام ٦٤ هـ.

حال وأنعم بال، مسرورا زمانا، قرير العين. وكانت لى صرمة من إبل وشويهات، فكنت أعولها ونفسى بها. فدارت عليها أقضية الله وحوادث الدهر، فوقع فيها داء فذهبت بقدرة الله. فبقيت لا أملك شيئا، وصرت مهينا مفكرا، قد ذهب عقلى، وساءت حالى، وصرت ثقلا على وجه الأرض. فلما بلغ ذلك أباها حال بينى وبينها، وأنكرنى، وجحدنى، وطردنى، ودفعها عنى. فلم أدر لنفسى بحيلة ولا نصرة. فأتيت إلى عاملك مروان بن الحكم مشتكيا بعمى، فبعث إليه، فلما وقف بين يديه، قال له مروان: يا أيها الرجل لم حلت بين ابن أخيك وزوجته ؟ قال: أصلح الله الأمير، ليس له عندى زوجة ولا زوجته من ابنتى قط. قلت أنا: أصلح الله الأمير، أنا راض بالجارية. فإن رأى الأمير أن يبعث إليها ويسمع منها ما تقول؟ فبعث إليها فأتت الجارية مسرعة، فلما وقفت بين يديه ونظر إليها وإلى حسنها وقعت منه موقع الإعجاب والاستحسان، فصار لى، يا أمير المؤمنين خصما وانتهرنى، وأمر بى إلى السجن. فبقيت كأنى خررت من السماء فى مكان سحيق، ثم قال لأبى بعدى: هل لك أن تزوجها منى، وأنقدك ألف دينار، وأزيدك أنت عشرة آلاف درهم تنتفع بها، وأنا أضمن طلاقها؟ قال له أبوها: إن أنت فعلت ذلك زوجتها منك.

فلما كان من الغد بعث إلى، فلما أدخلت عليه نظر إلى كالأسد الغضبان، فقال لى: يا أعرابى طلق سعدى. قلت: لا أفعل. فأمر بضربى ثم ردنى إلى السجن، فلما كان فى اليوم الثانى قال: على بالأعرابى. فلما وقفت بين يديه، قال: طلّق سعدى. فقلت: لا أفعل. فسلط على يا أمير المؤمنين خدامه فضربونى ضربا لا يقدر أحد على وصفه، ثم أمر بى إلى السجن، فلما كان فى اليوم الثالث قال: على بالأعرابى، فلما وقفت بين يديه قال: على بالسيف والنطع وأحضر السياف، ثم قال: يا أعرابى، وجلالة ربى، وكرامة والدى، لئن لم تطلق سعدى لأفرقن بين جسدك وموضع لسانك.

فخشيت على نفسى القتل فطلقتها طلقة واحدة على طلاق السنة، ثم أمر بى إلى السجن فحبسنى فيه حتى تمت عدتها ثم تزوجها، فبنى بها، ثم أطلقنى. فأتيتك مستغيثا قد رجوت عدلك وإنصافك، فارحمنى يا أمير المؤمنين. فوالله يا أمير المؤمنين لقد أجهدنى الأرق، وأذابنى القلق، وبقيت فى حبّها بلا عقل، ثم انتحب حتى كادت نفسه تفيض. ثم أنشأ يقول:

فى القلب منى نارٌ ... النّار فيه الدّمار
والجسم منّى سقيمٌ ... فيه الطّبيب يحار
والعين تهطل دمعا ... فدمعها مدرار
حملت منه عظيما ... فما عليه اصطبار

فليس ليلى ليلٌ ولانهارى نهار
فارحم كئيبا حزينا فؤاده مستطار
اردد علىّ سعادى يثيبك الجبّار

ثم خر مغشيا عليه بين يدى أمير المؤمنين كأنه قد صعق به قال: وكان فى ذلك الوقت معاوية متكئا، فلما نظر إليه قد خر بين يديه قام ثم جلس، وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون. اعتدى والله مروان بن الحكم ضرارا فى حدود الدين، وإحسارا فى حرم المسلمين: ثم قال: والله يا أعرابى لقد أتيتنى بحديث ما سمعت بمثله. ثم قال: يا غلام إلى بداره وقرطاس فكتب إلى مروان: أما بعد، فإنه بلغنى عنك أنك اعتديت على رعيتك فى بعض حدود الدين، وانتهكت حرمة لرجل من المسلمين. وإنما ينبغى لمن كان واليا على كورة أو إقليم أن يغض بصره وشهواته، ويزجر نفسه عن لذاته. وإنما الوالى كالراعى لغنمه، فإذا رفق به بقيت معه، وإذا كان لها ذئبا فمن يحوطها بعده. ثم كتب بهذه الأبيات:
وليت، ويحك أمرا لست تحكمه فاستغفر الله من فعل امرئ زانى

قد كنت عندى ذا عقلٍ وذا أدبٍ مع القراطيس تمثالا وفرقان
حتّى أتانا الفتى العذرىّ منتحبا يشكو إلينا ببثٍّ ثمّ أحزان
أعطى الإله يمينا لا أكفّرها حقّا وأبرأ من دينى وديانى
إن أنت خالفتنى فيما كتبت به لأجعلنّك لحما بين عقبانى
طلّق سعاد وعجّلها مجهّزة مع الكميت، ومع نصر بن ذبيان
فما سمعت كما بلّغت فى بشرٍ ولا كفعلك حقا فعل إنسان
فاختر لنفسك إمّا أن تجود بها أو أن تلاقى المنايا بين أكفان

ثم ختم الكتاب. وقال: على بنصر بن ذبيان والكميت صاحبى البريد. فلما وقفا بين يده قال: اخرجا بهذا الكتاب إلى مروان بن الحكم ولا تضعاه إلا بيده. قال فخرجا بالكتاب حتى وردا به عليه، فسلما ثم ناولاه الكتاب. فجعل مروان يقرأه ويردده، ثم قام ودخل على سعدى وهو باك، فلما نظرت إليه قالت له: سيدى ما الذى يبكيك؟ قال كتاب أمير المؤمنين، ورد على فى أمرك يأمرنى فيه أن أطلقك وأجهزك وأبعث بك إليه. وكنت أود أن يتركنى معك حولين ثم يقتلنى، فكان ذلك أحب إلى. فطلقها وجهزها ثم كتب إلى معاوية بهذه الأبيات:
لا تعجلنّ أمير المؤمنين فقد أوفى بنذرك فى رفقٍ وإحسان
وما ركبت حراما حين أعجبنى فكيف أدعى باسم الخائن الزانى

أعـذر فإنّـك لـو أبصرتهـا لجرت ... منـك الأمـأقى علـى أمثال إنسـان
فسـوف يأتيـك شمسٌ لا يعادلها ... عنـد الخليفـة إنسٌ لا ولا جـان
لـولا الخليفـة مـا طلّقتهـا أبـدا ... حتّـى أضـمّنّ فـى لحـدٍ وأكفـان
علـى سعـادٍ سلامٌ مـن فتـىً قلـقٍ ... حتّـى خلّفتـه بأوصـابٍ وأحـزان

ثـم دفعه إليهمـا، ودفع الجارية على الصفة التى حدث له. فلمّا وردا على معاوية فك كتابه وقرأ أبياته ثم قال: والله لقد أحسـن فى هذه الأبيات، ولقد أسـاء إلى نفسه. ثم أمر بالجاريـة فأدخلت إليه، فإذا بجارية رعبوبة لا تبقى لناظرها عقلا من حسـنها وكمالها. فعجب معاوية من حسنها ثم تحول إلى جلسائه وقال: والله إن هذه الجارية لكاملة الخلق فلئن كملت لها النعمة مع حسـن الصفة، لقد كملت النعمة لمالكها. فاسـتنطقها، فإذا هى أفصح نساء العرب. ثم قال: على بالأعرابى.

فلما وقف بين يديه، قال له معاوية: هل لك عنها من سلو، وأعوضك عنها ثلاث جوار أبكار مع كل جارية منهن ألف درهم، على كل واحدة منهن عشر خلع من الخز والديباج والحرير والكتان، وأجرى عليك وعليهن ما يجرى على المسـلمين، وأجعل لك ولهن حظا من الصلات والنفقات؟ فلما أتم معاوية كلامه غشى على الأعرابى وشهق شهقة ظن معاوية أنه قد مات منها. فلما أفاق قال له معاوية: ما بالك يا أعرابى؟ قال: شـر بال، وأسـوأ حال، أعوذ بعدلك يا أمير المؤمنين من جور مروان. ثم أنشأ يقول:

لا تجعلـنى هـداك الله مـن مـلكٍ ... كالمستجـير مـن الرّمضـاء بالنـار
أردد سـعاد علـى حـرّان مكتئـب ... يمسـى ويصبـح فـى همٍّ وتذكـار
قـد شفّتـه قلـقٌ مـا مثلـه قلقٌ ... وأسـعر القلـب منـه أيّ إسـعار
والله والله لا أنسـى محبّتهـا ... حتّـى أغيّب فى قبرى وأحجـارى
كيف السّلـوّ وقـد هـام الفؤاد بـها ... فـإن فعلت فـإنى غـير كفّـار
فأجمـل بفضـلك وافعل فعل ذى كرمٍ ... لا فعل غيرك، فعـل اللـؤم والعـار

ثـم قـال: والله يا أمير المؤمنين لو أعطيتنى كل مـا احتوته الخلافة ما رضيت به دون سعدى. ولقد صدق مجنون بنى عامر حيث يقول:

أبى القلـب إلاّ حـبّ ليلى وبغّضت ... إلىّ نسـاءٌ مـا لهـن ذنـوب
ومـا هـى إلاّ أن أراهـا فجـاءةً ... فأبهـت حتّـى لا أكـاد أجيب

فلما فرغ من شـعره، قال له معاوية: يا أعرابى؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين. قال: إنك

مقـر عندنا أنك قـد طلقتها، وقد بانت منك ومن مروان، ولكـن نخيرها بيننا. قال: ذاك إليك، يا أمير المؤمنين. فتحول معاوية نحوها ثم قال لها: يا سعدى أينا أحب إليك: أمير المؤمنين فى عزه وشرفه وقصوره، أو مروان فى غصبه واعتدائه، أو هذا الأعرابى فى جوعه وأطماره؟ فأشارت الجارية نحو ابن عمها الأعرابى، ثم أنشأت تقول:

هـذا وإن كان فى جـوع وأطـمار أعزّ عندى من أهـلـى ومن جـارى
وصاحـب التّـاج أو مـروَان عامله وكلّ ذى درهـم منـهم ودينـار

ثـم قالت: لسـت والله يا أمـير المؤمنين لحدثان الزمان بخاذلتـه، ولقد كانت لى معه صحبة جميلة، وأنا أحق من صبر معه على السـراء والضراء، وعلى الشدة والرخاء، وعلى العافية والبلاء، وعلى القسم الذى كتب الله لى معه. فعجب معاوية ومن معه من جلسائه من عقلها وكمالها ومروءتها وأمر لها بعشرة آلاف درهم وألحقها فى صدقات بيت المسلمين.

من كتاب (أخبار النساء) لابن الجوزى.

□□□

من قضاء المنذر بن سعيد

كان القاضي منذر بن سعيد من ذوى الصلابة فى أحكامه والمهابة فى أقضيته وقوة القلب فى القيام بالحق فى جميع ما يجرى على يديه. لا يهاب فى ذلك الأمير الأعظم، فمن دونه ومن مشهور ما جرى له فى ذلك قصته المشهور فى أيتام أخى نجدة. حدث بها جماعة من أهل العلم والرواية، وهى أن الخليفة الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد، احتاج إلى شراء دار بقرطبة لحظية من نسائه تكرم عليه. فوقع استحسانه على دار كانت لأولاد زكريا أخى نجدة، وكانت بقرب النشارين فى الربض الشرقى منفصلة عن دوره يتصل بها حمام العامة له غلة واسعة. وكان أولاد زكريا أخى نجدة أيتاما فى حجر القاضى. فارسل الخليفة له من قومها بعدد ما طابت به نفسه. وأرسل أناسا أمرهم بمداخله وصى الأيتام فى بيعها عليهم، فذكر أنه لا يجوز إلا بأمر القاضى إذ لم يجز بيع الأصل إلا عن رأيه ومشورته.

فأرسل الخليفة إلى القاضى منذر فى بيع هذه الدار فقال لرسوله: البيع على الأيتام لا يصح إلا لوجوه منها الحاجة ومنها الوهى الشديد(الضعف) ومن الغبطة (حسن الحال)، فأما الحاجة فلا حاجة لهؤلاء الأيتام إلى البيع، وأما الوهى فليس فيها، وأما الغبطة فهذا مكانها، فإن أعطاهم أمير المؤمنين فيها ما تستبين به الغبطة أمرت وصيهم بالبيع وإلا فلا. فنقل جوابه هذا إلى الخليفة، فأظهر الزهد فى شراء الدار طمعا أن يتوخى رغبته فيها، وخاف القاضى أن تنبعث منه عزيمة تلحق الأولاد سورتها فأمر وصى الأيتام بنقض الدار وبيع انقاضها، ففعل ذلك وباع الأنقاض وكانت لها قيمة أكثر مما قومت به للسلطان، فاتصل الخبر به فعز عليه خرابها وأمر بتوقيف الوصى على ما أحدثه فيها. فأحال الوصى على القاضى أنه أمره بذلك. فأرسل عند ذلك للقاضى منذر بن سعيد وقال له: أنت أمرت بنقض دار أخى نجدة؟ فقال له: نعم. قال له: وما دعاك إلى ذلك؟ قال أخذت فيها بقول الله تبارك وتعالى: ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ ﴾[1] مقومـوك لم يقدروها إلا بكذا، وبذلك تعلق وهمك فقد نقص فى أنقاضها أكثر من ذلك، وبقيت القاعة والحمام فضلاً. ونظر الله تعالى للأيتام. فصبر الخليفة عبد الرحمن على ما أتى من ذلك فقال: نحن أول من انقاد إلى الحق. فجزاك الله تعالى عنا وعن أمانتك خيرا.

من كتاب (مطمح الأنفس ومسرح التأنس فى ملح أهل الأندلس) للفتح بن خاقان.

(١) سورة الكهف آية ٧٩

حديث السخاء

حدث إبراهيم الحربى، وقد سألوه عن حديث عباس البقال.

فقال: خرجت إلى الكبش ووزنت لعباس البقال دانقا[1] إلا فلسا.

فقال لى: يا أبا إسحاق حدثنى حديثا فى السخاء، فلعل الله يشرح صدرى فأعمل شيئا.

قال: قلت له نعم: روى عن الحسن بن على[2] رضى الله عنهما أنه كان مارا فى بعض حيطان المدينة، فرأى أسود بيده رغيف يأكل لقمة، ويطعم الكلب لقمة، إلى أن شاطره الرغيف.

فقال له الحسن: ما حملك على أن شاطرته ؟ فلم تغابنه (تنقصه) فيه بشىء.

فقال: استحت عيناى من عينيه أن أغابنه.

فقال له الحسن: أقسمت عليك لا برحت حتى أعود إليك.

فمر فاشترى الغلام والحائط، وجاء إلى الغلام.

فقال: يا غلام، قد اشتريتك، فقام قائما.

فقال: السمع والطاعة لله ولرسوله ولك يا مولاى.

قال: وقد اشتريت الحائط، وأنت حر لوجه الله تعالى، والحائط هبة منى إليك. فقال الغلام: يا مولاى، قد وهبت الحائط للذى وهبتنى له.

قال إبراهيم: فقال عباس البقال: حسن والله يا أبا إسحاق. يا غلام: لأبى إسحاق دانق إلا فلسا، أعطه بدانق ما يريد ولا تنقصه شيئا.

فقلت: والله لا أخذت إلا بدانق إلا فلسا.

من كتاب (معجم الأدباء) لياقوت الحموى.

---

(١) الدانق هو مكيال إسلامى يستعمل فى الوزن والكيل أثناء العصور الإسلامية، وكلمة دانق ذات أصل يونانى معرب، والدانق يساوى حوالى سدس درهم، والدرهم حوالى ٢.٨ جرام فضة.

(٢) هو الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه. حفيد النبى صلى الله عليه وسلم فأمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله، ولد سنة ٣ هـ وتوفى سنة ٥٠هـ، قال عنه النبى صلى الله عليه وسلم: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، تولى خلافة المسلمين حوالى ستة أشهر بعد وفاة والده على بن أبى طالب عام ٤٠هـ، لكنه تنازل عنها لمعاوية بن أبى سفيان حقنا لدماء المسلمين.

obeikandl.com

ابن العاص.. رسول نفسه !

قال ابن الكلبى: لما فتح عمرو بن العاص[1] قيسارية سار حتى نزل على غزة، فبعث إليه علجها أن أرسل إلى رجلا من أصحابك أكلمه.

ففكر عمرو فقال: ما لهذا العلج أحد غيرى.

فقام حتى دخل على العلج فكلمه، فسمع كلاما لم يسمع مثله قط.

فقال له العلج: حدثنى هل من أصحابك أحد مثلك؟

قال: لا تسأل عن هوانى عندهم إذا بعثونى إليك وعرضونى لما عرضونى فلا يدرون ما تصنع بى.

قال: فأمر له بجائزة وكسوة، وبعث إلى البواب إذا مر بك فاضرب عنقه وخذ ما معه.

فمر برجل من النصارى من غسان فعرفه، فقال: يا عمرو قد أحسنت الدخول فأحسن الخروج.

فرجع فقال له الملك: ما ردك إلينا؟

قال: نظرت فيما أعطيتنى فلم أجد ذلك ليسع بنى عمى، فأردت أن آتيك بعشرة منهم تعطيهم هذه العطية فيكون معروفك عند عشرة خيرا من أن يكون عند واحد.

قال: صدقت أعجل بهم، وبعث إلى البواب خلى سبيله.

فخرج عمرو وهو يلتفت، حتى إذا أمن قال: لا عدت لمثلها أبدا.

فلما صالحه عمرو ودخل عليه العلج فقال له: أنت هو..؟

قال: على ما كان من غدرك.

من كتاب (الأذكياء) لابن الجوزى.

---

(١) هو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم القرشى، ولد بمكة عام ٥١ قبل الهجرة، كان ممن حاربوا النبى حتى إسلامه فى العام الثامن للهجرة قبل فتح مكة، فقدم المدينة مع خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة، يعد من أهم قادة الفتح الإسلامى فقد اشتهر بشدة الذكاء والدهاء الحربى. ولاه الخليفة أبو بكر أميرا على واحد من الجيوش الأربعة التى اتجهت لفتح الشام. شارك بجيشه فى معركة اليرموك الفاصلة عام ١٤ للهجرة مع باقى الجيوش الإسلامية عقب وصول خالد بن الوليد بجيشه من العراق، وبعد فتح الشام انتقل لفتح فلسطين، وخلال عهد الخليفة عمر ولاه قيادة جيوش فتح فلسطين والأردن عقب موت القائد يزيد بن أبى سفيان، ثم كلفه قيادة جيش فتح مصر ففتحها عام ٢١ للهجرة وأصبح واليا عليها حتى عزله الخليفة عثمان. ثم ولاه الخليفة معاوية مرة أخرى فظل واليا على مصر إلى أن مات عام ٤٣هـ للهجرة ودفن بالقرب من المقطم.

الحجاز.. بين ابن طلحة والحجاج

حدثنا محمد بن أبى الأزهر، قال: حدثنا الزبير بن بكار، قال: وحدثنى محمد بن يحيى، قال: حدثنى عمران بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى قال: لما ولى الحجاج بن يوسف الحرمين، بعد قتل عبد الله بن الزبير استحضر إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله[1] وقربه فى المنزلة فلم يزل على حاله عنده، حتى خرج إلى عبد الملك زائرا له فخرج معه فعادله لا يترك فى بره وإجلاله وتعظيمه شيئا.

فلما حضر باب عبد الملك حضر به معه، فدخل على عبد الملك فلم يبدأ بشيء بعد السلام إلا أن قال: قدمت عليك يا أمير المؤمنين برجل الحجاز، لم أدع له والله فيها نظيرا فى كمال المروءة والأدب والديانة، ومن الستر وحسن المذهب والطاعة والنصيحة، مع القرابة ووجوب الحق: إبراهيم بن طلحة بن عبيد الله وقد أحضرته بابك لتسهل عليه إذنك وتلقاه ببشرك وتفعل ما تفعل بمثله ممن كانت مذاهبه مثل مذاهبه.

فقال عبد الملك: ذكرتنا حقا واجبا ورحما قريبا، يا غلام ائذن لإبراهيم بن طلحة، فلما دخل عليه قربه حتى أجلسه على فرشه، ثم قال له: يا ابن طلحة! إن أبا محمد أذكرنا ما لم نزل نعرفكَ به من الفضل والأدب وحسن المذهب، مع قرابة الرحم ووجوب الحق، فلا تدعن حاجة فى خاص أمرك ولا عامته إلا ذكرتها، قال: يا أمير المؤمنين! إن أولى الأمور أن تفتتح بها حوائج وترجى بها الزلف ما كان لله عز وجل رضا، ولحق نبيه صلى الله عليه وسلم أداء، ولك فيه ولجماعة المسلمين نصيحة، وإن عندى نصيحة لا أجد بدا من ذكرها ولا يكون البوح بها إلا وأنا خال، فأخلنى ترد عليك نصيحتى، قال: دون أبى محمد؟ قال: نعم، قال: قم يا حجاج، فلما جاوز الستر قال: قل يا بن طلحة نصيحتك.

قال: الله أمير المؤمنين، قال: الله، قال: إنك عمدت إلى الحجاج مع تغطرسه وتعترسه، وتعجرفه وبعده عن الحق وركونه إلى الباطل، فوليته الحرمين، وفيهما من فيهما، وبهما من بهما من المهاجرين والأنصار، والموالى المنتسبة الأخيار، أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبناء الصحابة، يسومهم الخسف، ويقودهم بالعسف، ويحكم

(١) هو إبراهيم بن محمد بن صاحب رسول الله وأحد العشرة المبشرين بالجنة طلحة بن عبيد الله، استشهد أبوه مع جده يوم معركة الجمل، روى عن كبار الصحابة منهم أبو هريرة وابن عمر وابن عمرو، يعد من أكابر التابعين ومن أكمل الرجال، ولى خراج العراق لعبد الله بن الزبير، قربه الحجاج بعد مقتل ابن الزبير، توفى عن نحو ثمانين عاما سنة ١١٠هـ وكان موته بمنى زمن الحج.

فيهم بغير السنة، ويطؤهم بطغام أهل الشام، ورعاع لا روية لهم فى إقامة حق، ولا إزاحة باطل، ثم ظننت أن ذلك فيما بينك وبين الله ينجيك، وفيما بينك وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلصك إذا جاثاك للخصومة فى أمته، أما والله لا تنجو إلا بحجة تقيمن لك النجاة، فابق على نفسك أو دع، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته".

فاستوى عبد الملك جالسا وكان متكئا، فقال: كذبت – لعمرو الله – ومنت ولؤمت فيما جئت به، قد ظن بك الحجاج ما لم يجد فيك، وربما ظن الخير بغير أهله، قم فأنت الكاذب المائن الحاسد، قال: فقمت والله ما أبصر طريقا، فلما خلفت الستر لحقنى لاحق من قبله، فقال للحاجب: احبس هذا، أدخل أبا محمد للحجاج، فلبثت مليا لا أشك أنهما فى أمرى، ثم خرج الآذن فقال: قم يا ابن طلحة فادخل، فلما كشف لى الستر لقينى الحجاج وأنا داخل وهو خارج فاعتنقنى وقبل ما بين عينى، ثم قال: إذا جزى الله المتحابين بفضل تواصلهم فجازاك الله أفضل ما جزى به أخا، فوالله لئن سلمت لك لأرفعن ناظرك، ولأعلين كعبك، ولأتبعن الرجال غبار قدمك، قال: فقلت: يهزأ بى.

فلما وصلت إلى عبد الملك أدنانى حتى أجلسنى مجلسى الأول، ثم قال: يا ابن طلحة لعل أحد من الناس شاركك فى نصيحتك؛ قال: قلت: لا والله، ولا أعلم أحدا كان أظهر عندى معروفا ولا أوضح يدا من الحجاج،ولو كنت محابيا أحدا بدينى لكان هو، ولكن آثرت الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه والمسلمين، فقال: قد علمت أنك آثرت الله عز وجل، ولو أردت الدنيا لكان لك بالحجاج أمل، وقد أزلت الحجاج عن الحرمين لما كرهت من ولايته عليهما، وأعلمته أنك استنزلتنى له عنهما استصغارا لهما، ووليته العراقين لما هنا من الأمور التى لا يرحضها (يغسلها) إلا مثله، وأعلمته أنك استدعيتنى إلى التولية له عليهما استزادة له ليلزمه من ذمامك ما يؤدى به عنى إليك أجر نصيحتك، فاخرج معه فإنك غير ذام صحبته مع تقريظه إياك ويدك عنده، قال: فخرجت على هذه الجملة.

من كتاب (الجليس الصالح والأنيس الناصح) للمعافى بن زكريا.

□□□

لا تتكلم إلا بالقرآن !

حدثنا أبو بكر، حدثنا محمد بن سعدان الساجى، أحد أصحاب الشافعى[1]، حدثنى على بن عبد العزيز، صاحب أبى عبيد، حدثنى أبو سعيد الربعى، حدثنى محمد بن يزيد بن حبيش، حدثنى رجل من إخواننا، قال:

بينما أنا بعرفة، إذ أنا بامرأة وهى تقول: (مَنْ يَهْدِ اللهُ فَما لَهُ مِنْ مُضِلّ)، (وَمَنْ يُضَلِلْ اللهُ فَلاَ هَادِى لهُ) فعلمت أنها ضالة، فقلت: لعلك ضالة؟ قالت: (فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمان وَكُلاً آتَيْنا حُكما وعِلْماً)، فأنخت بعيرى، ونزلت عنه، وحملتها، فقلت: من أين أنت رحمك الله؟

قالت: (سبحانَ الذى أَسرى بعبدِهِ ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأَقصى). فعلمت أنها من أهل بيت المقدس، فجعلت أسأل عن زقاق المقدسيين، حتى انتهيت إلى قوم فسألوها فلم تكلمهم، فقالوا: لعلها حرورية[2] لا ترى أن تكلمنا، فقالت: (ولا تَقْفْ ما ليسَ لكَ به علمٌ) وحانت منها التفاتة فرأت طردانا قد عرفتها، فقالت: (وَعَلاَمَات وبالنجم هُمْ يهتدون) فعلمت أنها تريد الطرادات، فقصدت بها نحوها، فقلت: من أنادى؟ وعنَ من أسأل؟

فقالت: (يا داود إنّا جَعَلناكَ خَليفةً فى الأَرض) (يا يحيى خُذ الكتاب بقوَّة) (يا زكريا إنَّا نُبَشِرُكُ بِغُلام اسمُه يحيى) فعلمت أنها تريد داود ويحيى وزكريا، فجعلت أقول: يا داود، يا يحيى، يا زكريا، فخرج على ثلاثة فتيان، فقالوا: أمنا ورب الكعبة، أضللنها منذ ثلاث.

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعى (١٥٠- ٢٠٤هـ/٧٦٦ - ٨٢٠م)، أحد أبرز أئمة أهل السنة والجماعة، وأحد الأئمة الأربعة الكبار أصحاب مذاهب الفقه الإسلامي، يعد مؤسس علم أصول الفقه وأول من وضع كتابا لأصول الفقه سماه الرسالة، قال عنه أحمد بن حنبل أنه مجدد الإسلام فى القرن الثانى الهجري، يرجع نسبه إلى قريش لكنه ولد بغزة بفلسطين، ارتحل إلى أكثر من جهة كان آخرها مصر عام ١٩٩هـ حيث مات ودفن بها عام ٢٠٤هـ.

(٢) الحرورية: هى فرقة ضالة قويت شوكتها فى عهد خلافة على رضى الله عنه، سميت بهذا الاسم نسبة إلى بلدة حروراء بالقرب من الكوفة والتى تعد مركزا لخروجهم على علىّ بن أبى طالب، وسبب ضلالهم هو تقديم العقل على النقل فكذبوا السنة الصحيحة لما قاسوها بعقولهم فعرفهم ابن حجر وغيره بأنهم لا يعترفون بالسنة فكفروا عليا رضى الله عنه، وكانت أعمالهم المنكرة كلها مردها إلى عقولهم، ولقد فسر على رضى الله عنه قوله تعالى (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا) إلى آخر الآيات فى سورة الكهف (١٠٣ - ١٠٦) قال: أنتم يا أهل حروراء . أما فى هذه الرواية، فقد ظنوا أن المرأة تنتسب إلى هذه الطائفة لتشددها فهى لا تريد أن تكلمهم

فالتفتت إليهم. فقالت: (فابْعَثُوا أَحَدَكم بِوَرِقِكم هذه إلى المدينة فلْيَنْظُرْ أَيُّها أَزكى طعاماً، فلْيأْتكُم برزقٍ منه ولْيَتَلَطَّفْ) فعلمت أنها أمرتهم أن يزودنى فأخذوا مزاودى فذهبوا بها إلى السوق فملأُوها، ثم أتونى بها، فقلت: ما حال هذه؟ قالوا: هذه أمنا، ولم تتكلم بشيء سوى القرآن منذ ثلاثين سنة خشية أن تزل.

من كتاب (الفوائد والأخبار) لابن دريد.

□□□

obeikandl.com

خروج محمد النفس الزكية

فى سنة خمس وأربعين ومائة كان ظهور محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب[1] رضى الله عنهم بالمدينة، وكان قد بويع له فى كثير من الأمصار، وكان يدعى بالنفس الزكية لزهده ونسكه، وكان مستخفيا من المنصور، ولم يظهر حتى قبض المنصور على أبيه عبد الله بن الحسن وعمومته وكثير من أهله وعدتهم.

ولما ظهر محمد بن عبد الله بالمدينة دعا المنصور إسحاق بن مسلم العقيلى، وكان شيخا ذا رأى وتجربة، فقال له: أشر علىّ فى خارجى خرج علىّ، قال: صف لى الرجل، قال: رجل من ولد فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذو علم وزهد وورع، قال: فمن تبعه، قال: ولد على وولد جعفر عقيل وولد عمر بن الخطاب وولد الزبير بن العوام وسائر قريش وأولاد الأنصار، قال له: صف لى البلد الذى قام به، قال: بلد ليس به زرع ولا ضرع ولا تجارة واسعة.

ففكر ساعة ثم قال: اشحن يا أمير المؤمنين البصرة بالرجال، فقال المنصور فى نفسه: قد خرق الرجل، أسأله عن خارجى خرج بالمدينة يقول لى اشحن البصرة بالرجال، فقال له: انصرف يا شيخ، ثم لم يكن إلا يسير حتى ورد الخبر أن إبراهيم قد ظهر بالبصرة، فقال المنصور: على بالعقيلى، فلما دخل عليه أدناه ثم قال له: إنى كنت قد شاورتك فى أمر خارجى خرج بالمدينة فأشرت على أن أشحن البصرة بالرجال أو كان عندك من البصرة علم. قال: لا، ولكن ذكرت لى خروج رجل إذا خرج مثله لم يتخلف عنه أحد، ثم ذكرت لى البلد الذى هو فيه فاذا هو ضيق لا يحتمل الجيوش، فقلتُ: إنه رجل سيطلب غير موضعه، ففكرت فى مصر فوجدتها مضبوطة، والشام والكوفة كذلك، وفكرت فى البصرة فخفت عليها منه لخلوها، فأشرت بشحنها، فقال له المنصور، أحسنت، وقد خرج بها أخوه، فما الرأى فى صاحب المدينة. قال: ترميه بمثله، إذا قال: أنا ابن رسول الله صلى

---

(١) هو محمد بن عبد الله الملقب بالنفس الزكية، من أحفاد على بن أبى طالب رضى الله عنه، ولد بالمدينة عام ١٠٠هـ، من أتباع التابعين ومن رواة الحديث، عالما زاهدا غاية فى الورع، لما بويع لبنى العباس اختفى هو وأخيه إبراهيم مدة خلافة أبى العباس السفاح (١٣٢ - ١٣٦هـ/٧٥٠ - ٧٥٤م)، فلما تولى أبو جعفر المنصور توهم منهما أن يخرجا عليه وقد حدث ذلك بالفعل وكان ذلك من المدينة المنورة، فجد المنصور فى طلبهما، وكان الإمامان أبو حنيفة ومالك من أنصارهما، واستطاع بالفعل أبو جعفر المنصور القضاء على محمد وإبراهيم وقتلهما عام ١٤٥ هـ.

الله عليه وسلم، قال هذا: وأنا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقال المنصور لعيسى بن موسى[1]: إما أن تخرج إليه وأقيم أنا أمدك بالجيوش، وإما أن تكفينى ما أخف ورائى وأخرج أنا إليه، فقال عيسى: بل أقيك بنفسى يا أمير المؤمنين، وأكون الذى يخرج إليه، فأخْرَجَه إليه من الكوفة فى أربعة آلاف فارس والذى راجل، وتبعه محمد بن قحطبة فى جيش كثيف، فقاتلوا محمدا بالمدينة حتى قتل وهو ابن خمس وأربعين سنة، ولما اتصل بإبراهيم قتل أخيه محمد بن عبد الله وهو بالبصرة صعد المنبر فنعاه وتمثل:

أبا لمنازل يا خير الفوارس ... من يُفْجَعْ بمثلك فى الدنيا فقد فُجِعَا
الله يعلم أنى لوخشيتهم ... وأَوْجَسَ القلب من خوف لهم فزعا
لم يقتلوه ولم أسلم أَخَيَّ لهم ... حتى نموت جميعا أو نعيش معا

من كتاب (مروج الذهب) للمسعودى.

□□□

(١) هو عيسى بن موسى بن محمد العباسى أبو موسى: أمير من الولاة القادة وهو ابن أخى السفاح.

ولد ونشأ فى الحميمية. ولاه عمه الكوفة سنة ١٣٢هـ، وجعله ولى عهد المنصور فاستنزله المنصور عن ولاية عهه سنة ١٤٧هـ، وعزله عن الكوفة، وأرضاه بمال وفير وجعل له ولاية عهد ابنه المهدى. فلما ولى المهدى خلعه سنة ١٦٠هـ بعد تهديد ووعيد، فأقام بالكوفة إلى أن توفى عام (١٦٧هـ - ٧٨٣م).

obeikandl.com

أويس القرنى

عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: إن الله عز و جل يحب من خلقه الأصفياء الأخفياء الأبرياء، الشعثة رؤوسهم، المغبرة وجوههم، الخمصة بطونهم، الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم، وإن خطبوا المتنعمات لم ينكحوا، وإن غابوا لم يفتقدوا، وإن طلعوا لم يفرح بطلعتهم، وإن مرضوا لم يعادوا وإن ماتوا لم يشهدوا. قالوا: يا رسول الله كيف لنا برجل منهم، قال: ذاك أويس القرنى، قالوا: وما أويس القرنى، قال: أشهل[1] ذو صهوبة[2] بعيد ما بين المنكبين معتدل القامة آدم شديد الأدمة[3] ضارب بذقنه إلى صدره رام ببصره إلى موضع سجوده واضع يمينه على شماله يتلو القرآن يبكى على نفسه ذو طمرين[4] لا يؤبه له متزرا بإزار صوف ورداء صوف مجهول فى أهل الأرض معروف فى السماء لو أقسم على الله لأبر قسمه ألا وإن تحت منكبه الأيسر لمعة بيضاء ألا وإنه إذ كان يوم القيامة قيل للعباد ادخلو الجنة ويقال لأويس قف فاشفع فيشفعه الله عز و جل فى مثل ربيعة ومضر. يا عمر، يا على، إذا أنتما لقيتماه فاطلبا إليه أن يستغفر لكما يغفر الله لكما.

قال: فمكثا يطلبانه عشر سنين لا يقدران عليه، فما كان فى آخر السنة التى هلك فيها عمر قام على أبى قبيس[5] فنادى بأعلى صوته: يا أهل الحجيج من اليمن، أفيكم أويس؟ فقام شيخ كبير طويل اللحية فقال: إنا لا ندرى ما أويس ولكن ابن أخ لى يقال له أويس. وهو أخمل ذكرا، وأقل مالا، وأهون أمرا من أن نرفعه اليك، وإنه ليرعى إبلنا، حقير بين أظهرنا. فعمى عليه عمر كأنه لا يريده وقال: ابن أخيك هذا أبحر منا هو قال: نعم، قال: أين يصاب؟ قال: أراك عرفات.

قال: فركب عمر وعلى سراعا إلى عرفات فإذا هو قائم يصلى إلى شجرة، والإبل حوله ترعى. فشدا خماريهما ثم أقبلا إليه، فقالا: السلام عليك ورحمة الله، فخفف أويس

---

(١) الشهلة فى العين أن يشوب سوادها زرقة..

(٢) الصهوبة هى حمرة أو شقرة فى الشعر.

(٣) الأدمة هى سمرة البشرة.

(٤) الطمر هو الثوب البلى.

(٥) هو جبل أبى قبيس، يقع بالقرب من المسجد الحرام من الناحية الشرقية، سمى كذلك لأن الحجر الأسود قد اقتبس منه، وتشير الروايات أنه أول جبل وضع على وجه الأرض وقد بنيت الكعبة على ربوة يتصل أصلها بأصل هذا الجبل.

الصلاة ثم قال: السلام عليكما ورحمة الله، قالا: من الرجل؟ قال راعى إبل وأجير قوم، قالا لسنا نسألك عن الرعاية ولا عن الإجارة، ما اسمك؟ قال: عبدالله قالا: قد علمنا أن أهل السموات والأرض كلهم عبيد الله، ما اسمك الذى سمتك أمك؟ قال: يا هذان ما تريدان إلى؟

قالا: وصف لنا محمد صلى الله عليه و سلم أويسا القرنى، فقد عرفنا الصهوبة والشهولة، وأخبرنا أن تحت منكبك الأيسر لمعة بيضاء فأوضحها لنا فإن كانت بك فأنت هو، فأوضح منكبه فإذا اللمعة، فابتدراه يقبلانه، وقالا: نشهد أنك أويس القرنى، فاستغفر لنا يغفر الله لك، قال: ما أخص باستغفارى نفسى ولا أحدا من ولد آدم، ولكنه فى البر والبحر من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، يا هذان قد شهر الله لكما حالى وعرفكما أمرى، فمن أنتما؟

قال على عليه السلام: أما هذا فعمر أمير المؤمنين، وأما أنا فعلى بن أبى طالب فاستوى أويس قائما وقال: السلام عليك ياأمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته وأنت يا على بن أبى طالب، فجزاكما الله عن هذه الأمة خيرا، قالا: وأنت فجزاك الله عن نفسك خيرا.

فقال له عمر: مكانك يرحمك الله حتى أدخل مكة فآتيك بنفقة من عطائى وفضل كسوة من ثيابى هذا المكان ميعاد بينى وبينك، قال: ميعاد بينى وبينك لا أراك بعد اليوم، فعرفنى ماأصنع بالنفقة؟ وما أصنع بالكسوة؟ أما ترى على إزارا من صوف، ورداء من صوف، متى ترانى أخرقهما أو ترى أن نعلى مخصوفتان متى ترانى أبليهما، إنى قد أخذت من رعايتى أربعة دراهم فمتى ترانى آكلها ياأمير المؤمنين، إن بين يدى ويديك عقبة كؤودا لا يجاوزها إلا ضامر مخف مهزول فأخفف رحمك الله.

فلما سمع عمر ذلك ضرب بدرته الأرض ثم نادى بأعلى صوته: ألا ليت عمر لم تلده أمه، ياليتها كانت عاقرا لم تعالج حملها، ألا من يأخذها بما فيها ولها. ثم قال: يا أميرالمؤمنين خذ أنت هاهنا حتى آخذ أنا هاهنا، فولى عمر ناحية مكة وساق أويس إبله فوافى القوم بإبلهم، وخلى عن الرعاية، وأقبل على العبادة حتى لحق بالله عز وجل.

من كتاب (صفة الصفوة) لابن الجوزى.

نصيحة الفضيل للرشيد

حدثنا سليمان بن أحمد ثنا محمد بن زكريا الغلابى ثنا أبو عمر الحرمى النحوى ثنا الفضل بن الربيع[1] قال: حج أمير المؤمنين (هارون الرشيد)، فأتانى فخرجت مسرعا فقلت: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلى أتيتك. فقال: ويحك قد حاك فى نفسى شىء فانظر لى رجلا أسأله. فقلت: هاهنا سفيان بن عيينة[2]. فقال: امض بنا إليه. فأتيناه فقرعنا الباب. فقال: من هذا؟ قلت: أجب أمير المؤمنين. فخرج مسرعا. فقال: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلى أتيتك. فقال: خذ لما جئناك له رحمك الله. فحدثه ساعة ثم قال له: عليك دين. فقال: نعم. قال: أبا عباس اقض دينه. فلما خرجنا قال: ما أغنى عنى صاحبك شيئا انظر لى رجلا أسأله. قلت ههنا عبدالرزاق بن همام[3]. قال: امض بنا إليه. فأتيناه فقرعنا الباب فخرج مسرعا فقال: من هذا؟ قلت أجب أمير المؤمنين. فقال: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلى أتيتك. فقال: خذ لما جئناك له. فحادثه ساعة ثم قال له: عليك دين. قال: نعم. قال: أبا عباس اقض دينه. فلما خرجنا قال: ما أغنى عنى صاحبك شيئا. انظر لى رجلا أسأله. قلت: ههنا الفضيل بن عياض[4]. قال: امض بنا إليه.

---

(١) هو الفضل بين الربيع بين يونس بن محمد بن أبى قروة بن كيسان مولى عثمان بن عفان. كان حاجبا للخليفة الرشيد ولأبنه الأمين. وكان أبوه هو الربيع بن يونس حاجبا للخلفاء المنصورة والمهدى والهادى. لما ظفر المأمون بالخلافة وقتل الأمين استتر الفضل. ثم توسل إليه أن يعفو عنه. فعفا عنه واكتفى بأن أهمله ولم يستعمله إلى أن مات فى السبعين من عمره عام ٢٠٨هـ.

(٢) هو سفيان بن عيينة بن أبى عمران الهلالي. إمام ومحدث شهير زاهدا ورعاً. ولد بالكوفة عام ١٠٧هـ. لقى الأعلام من علماء التابعين فروى عن عمرو بن دينار والزهرى وابن المنكدر وجعفر الصادق وغيرهم. وروى عنه كثير من الأئمة مثل الشافعى وأحمد بن حنبل. قال عنه الشافعي: لولا مالك وابن عيينة لذهب علم الحجاز. توفى عام ١٩٨ هـ.

(٣) هو عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعانى الحميرى اليمني. الإمام العلامة والمحدث الشهير. ولد عام ١٢٦ هـ حدث عن الأوزاعى وسفيان الثورى ومالك بن أنس وغيرهم من الكبار. حدث عنه ابن عيينة ابن حنبل يحيى بن معين وغيرهم كثير. كان ثقة فى الحديث قيل أنه كان يحفظ سبعة عشر الف حديث. قال عنه ابن معين: لو ارتد ما تركنا حديثه. توفى باليمن عام ٢١١ هـ

(٤) هو الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر أبو على التميمى اليربوعى الخراساني. أحد أعلام التصوف فى القرن الثانى الهجري. تلقب بعابد الحرمين. ولد بسمرقند سنة ١٠٧هـ. روى ابن عساكر: أن الفضيل كان قاطع طريق وكان سبب توبته أنه عشق جارية. فبينما هو يرتقى الجدران إليها سمع تاليا يتلو (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) سورة الحديد آية ١٦. قال: يا رب قد آن. فرجع فآواه الليل إلى خربة فإذا فيها سابلة فقال بعضهم: نرحل. وقال بعضهم: حتى نصبح فإن فضيلا على الطريق يقطع علينا. قال: ففكرت وقلت أنا أسعى بالليل فى المعاصى وقوم من المسلمين هاهنا يخافوننى. وما أرى الله ساقنى إليهم

فأتيناه فإذا هو قائم يصلى يتلو آية من القرآن يرددها فقال: اقرع الباب. فقرعت الباب فقال: من هذا؟ قلت: أجب أمير المؤمنين، فقال: مالى ولأمير المؤمنين؟ فقلت: سبحان الله أما عليك طاعة. أليس قد روى عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال: ليس للمؤمن بذل نفسه. فنزل ففتح الباب ثم ارتقى إلى الغرفة فأطفأ السراج ثم التجأ إلى زاوية من زوايا البيت. فدخلنا فجعلنا نجول بأيدينا فسبقت كف هارون قبلى إليه. فقال: يالها من كف ما ألينها إن نجت غدا من عذاب الله عز و جل. فقلت فى نفسى ليكلمنه الليلة بكلام من تقى قلب تقى، فقال له: خذ لما جئناك له رحمك الله. فقال: إن عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة دعا سالم بن عبدالله ومحمد بن كعب القرظى ورجاء بن حيوة. فقال لهم إنى قد ابتليت بهذا البلاء فأشيروا على. فعد الخلافة بلاء وعددتها أنت وأصحابك نعمة. فقال له سالم بن عبد الله: إن أردت النجاة من عذاب الله فصم الدنيا وليكن إفطارك منها الموت. وقال له محمد بن كعب: إن أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المؤمنين عندك أبا وأوسطهم عندك أخا وأصغرهم عندك ولدا. فوقر أباك وأكرم أخاك وتحنن على ولدك. وقال له رجاء بن حيوة: إن أردت النجاة غدا من عذاب الله فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك ثم مت إذا شئت. وإنى أقول لك فإنى أخاف عليك أشد الخوف يوما تزل فيه الأقدام. فهل معك رحمك الله مثل هذا أو من يشير عليك بمثل هذا؟

فبكى هارون بكاء شديدا حتى غشى عليه. فقلت له ارفق بأمير المؤمنين، فقال: يا ابن الربيع تقتله أنت وأصحابك وأرفق به أنا. ثم أفاق فقال له: زدنى رحمك الله. فقال يا أمير المؤمنين بلغنى أن عاملا لعمر بن عبد العزيز شكى إليه. فكتب إليه عمر يا أخى أذكرك طول سهر أهل النار مع خلود الأبد، وإياك أن ينصرف بك من عند الله فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء. قال: فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر بن عبد العزيز فقال له: ما أقدمك؟ قال خلعت قلبى بكتابك. لا أعود إلى ولاية حتى ألقى الله عز و جل.

قال: فبكى هارون بكاء شديدا ثم قال له: زدنى رحمك الله. فقال: يا أمير المؤمنين إن العباس عم المصطفى صلى الله عليه و سلم جاء إلى النبى صلى الله عليه و سلم فقال: يا رسول الله أرنى على إمارة. قال له النبى صلى الله عليه و سلم: إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة. فإن استطعت ألاتكون أميرا فافعل.

إلا لأرتدع. اللهم قد تبت إليك، وجعلت توبتى مجاورة البيت الحرام. روى عن الأعمش والثورى وابن المقمر وغيرهم. وروى عنه الثورى وابن عيينه والشافعى وابن المبارك وغيرهم. توفى عام ١٨٧ هـ.

فبكى هارون بكاء شديدا، فقال له: زدنى رحمك الله، قال: يا حسن الوجه أنت الذى يسألك الله عز و جل عن هذا الخلق يوم القيامة فإن استطعت أن تقى هذا الوجه من النار فإياك أن تصبح وتمسى وفى قلبك غش لأحد من رعيتك، فإن النبى صلى الله عليه و سلم قال: من أصبح لهم غاشـا لم يرح رائحة الجنة، فبكى هارون وقال له: عليك دين؟ قال: نعم، دين لربى لم يحاسبنى عليه، فالويل لى إن سألنى والويل لى إن ناقشنى والويل لى إن لم ألهم حجتى، قال: إنما أعنى من دين العباد، قال: إن ربى لم يأمرنى بهذا، إنما أمرنى أن أصدق وعده وأطيع أمره، فقال عز وجل: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهـم مـن رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين).فقال له: هذه ألف دينار، خذها فأنفقها على عيالك وتقو بها على عبادتك، فقال: سبحان الله أنا أدلك على طريـق النجاة وأنت تكافئنى بمثل هذا، سـلمك الله ووفقك، ثم صمت فلم يكلمنا فخرجنا من عنده، فلما صرنا على الباب قال هارون: إذا دللتنى على رجل فدلنى على مثل هذا، هذا سـيد المسـلمين، فدخلت عليه امرأة من نسائه فقالت: يا هذا قد ترى ما نحن فيه من ضيـق الحال فلو قبلت هذا المال فتفرجنا بـه، فقال لها: مثلى ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير يأكلون من كسـبه، فلما كبر نحروه فأكلوا لحمه، فلما سمع هارون هذا الكلام قال: ندخل فعسـى أن يقبل المال، فلما علم الفضيل خرج فجلس فى السـطح على باب الغرفة، فجاء هارون فجلس إلى جنبه فجعل يكلمه فلا يجيبه، فبينما نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء فقالت: يا هذا قد آذيت الشيخ منذ الليلة فانصرف رحمك الله، فانصرفنا.

من كتاب (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء) لأبى نعيم الأصبهانى.

□□□

مناظرات المأمون

كان يحيى بن أكثم يقول: كان المأمون يجلس للمناظرة فى الفقه يوم الثلاثاء، فإذا حضر الفقهاء ومن يناظره من سائر أهل المقالات أُدخلوا حجرة مفروشة، وقيل لهم: انزعوا أخفافكم، ثم أحضرت الموائد، وقيل لهم: أصيبوا من الطعام والشراب وجددوا الوضوء، ومن خفه ضيق فلينزعه، ومن ثقلت عليه قلنسوته فليضعها، فإذا فرغوا أتوا بالمجامر فبخروا وطيبوا، ثم خرجوا فاستدناهم حتى يدنوا منه، ويناظرهم أحسن مناظرة، وأنصفها وأبعدها من مناظرة المتجبرين، فلا يزالون كذلك إلى أن تزول الشمس، ثم تنصب الموائد الثانية فيطعمون وينصرفون.

قال: فإنه يوما لجالس إذ دخل عليه على بن صالح الحاجب فقال: يا أمير المؤمنين، رجل واقف بالباب عليه ثياب بيض غلاظ مشمرة، ويطلب الدخول للمناظرة، فقلت: إنه بعض الصوفية، فأردت بأن أشير ألا يؤذن له، فبدأ المأمون فقال: ائذن له، فدخل رجل عليه ثياب قد شمرها ونعله فى يده، فوقف على طرف البساط فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال المأمون: وعليك السلام، فقال: أتأذن لى فى الدنو منك. قال: ادن، فدنا، ثم قال: اجلس، فجلس، ثم قال: أتأذن فى كلامك. فقال: تكلم بما تعلم أن لله فيه رضا.

قال: أخبرنى عن هذا المجلس الذى أنت قد جلسته أبإجتماع من المسلمين عليك، ورضا منك، أم بالمغالبة لهم والقوة عليهم بسلطانك؟

قال: لم أجلسه باجتماع منهم ولا بمغالبة لهم، إنما كان يتولى أمر المسلمين سلطان قبلى أحمده المسلمون إما على رضا وإما على كره، فعقد لى ولآخر معى ولاية هذا الأمر بعده فى أعناق من حضره من المسلمين، فأخذ على من حضر بيت الله الحرام من الحاج البيعة لى ولآخر معى فأعطوه ذلك إما طائعين وإما كارهين، فمضى الذى عقد له معى على هذه السبيل التى مضى عليها، فلما صار الأمر إلى علمت أنى أحتاج إلى اجتماع كلمة المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها على الرضا، ثم نظرت فرأيت أنى متى تخليت عن المسلمين اضطرب حبل الإسلام ومرج عهدهم، وانتقضت أطرافه، وغلب الهرج والفتنة، ووقع التنازع، فتعطلت أحكام الله سبحانه وتعالى، ولم يحجَّ أحد بيته، ولم يجاهد فى سبيله، ولم يكن لهم سلطان يجمعهم ويسوسهم، وانقطعت السبل، ولم يؤخذ لمظلوم من

ظالم، فقمت بهذا الأمر حياطة للمسلمين، ومجاهدا لعدوهم، وضابطا لسبلهم، وآخذا على أيديهم إلى أن يجتمع المسلمون على رجل تتفق كلمتهم على الرضا به فأسلم الأمر إليه، وأكون كرجل من المسلمين، وأنت أيها الرجل رسولى إلى جماعة المسلمين، فمتى اجتمعوا على رجل ورضوا به خرجت إليه من هذا الأمر.

فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وقام، فأمر المأمون على بن صالح الحاجب بأن ينفذ فى طلبه من يعرف مقصده. ففعل ذلك، ثم رجع وقال: وجهت يا أمير المؤمنين من اتبع الرجل، فمضى إلى مسجد فيه خمسة عشر رجلا فى هيئته وزيه فقالوا له: لقيت الرجل. فقال: نعم! قالوا: فما قال لك. قال: ما قال لى إلا خيرا، ذكر أنه ضبط أمور المسلمين إلى أن تأمن سبلهم، ويقوم بالحج والجهاد فى سبيل الله، ويأخذ للمظلوم من الظالم، ولا يعطل الأحكام، فإذا رضى المسلمون برجل سلم الأمر إليه وخرج منه، وقالوا: ما نرى بهذا بأسا، وافترقوا، فأقبل المأمون على يحيى، فقال: كفينا مؤونة هؤلاء بأيسر الخطب، فقلت: الحمد لله الذى ألهمك يا أمير المؤمنين الصواب والسداد فى القول والفعل.

من كتاب (مروج الذهب) للمسعودى.

□□□